انتقام الله بني قريظة وتخيير الزوجات

المحاضرة ٤

قال الله تعالى :

(وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) *(وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)*

أهمية معرفة الله وصفاته من خلال القرآن

- من المقاصد المهمة التي نتعلمها من السور القرآنية هو التعرف على الله سبحانه وتعالى من خلال صفاته وأفعاله.
- الله يعرفنا بذاته وصفاته عبر الآيات والقصص، وهذا أمر أساسي للتدبر والفهم.
- على المسلم أن يسأل نفسه دائمًا عند قراءة القرآن: *كيف أرى ربي من خلال هذه الآيات؟ كيف عرفت ربي؟ وماذا عرفت عن ربي في هذه الآيات؟*
- تتجلى أسماء الله الحسنى وصفاته عبر قصص القرآن، مثل كونه *"قويًا عزيزًا"* في بعض الآيات و*"غفورًا رحيمًا"* في آيات أخرى.

تجليات صفة "العزيز" في القرآن

- الله سبحانه وتعالى هو العزيز الذي لا يُغلب.
- عند معرفة الله بأسمائه وصفاته، يشعر المؤمن بالطمأنينة.
- يُروى عن أحد السلف أنه سُئل: *ألا تخشى الفقر؟* فأجاب بثقة في الله: *كيف أخشى الفقر وربّي يملك السماوات والأرض؟*

تفاصيل انتصار الله للمؤمنين في غزوة الأحزاب

- انتهت معركة الأحزاب بفضل الله وحده، دون تدخل من المؤمنين بجهد أو سلاح، حيث تولى الله الأمر وأرسل الرياح وزعزع خيام المشركين.
- في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا أثناء السعي، يُثني على الله بقوله:
"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده"

توضيح معنى *(بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا)*

- *(بِغَيْظِهِمْ)*
  - أي أن المشركين رجعوا بنفس الغيظ والغضب الذي جاءوا به، دون أن يُشفى غيظهم.
- *(لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا)*
  - رغم عودتهم، لم يكن ذلك خوفًا من الله أو ندمًا على إيذاء النبي، بل كانوا مكرهين على الرجوع، ولو كانت الظروف مختلفة لدخلوا المدينة.
  - هذا يعتبر "الإثم المكتسب"، حيث عاد المشركون بالذنب رغم عدم تمكنهم من إيذاء النبي.

ترك السيئة خوفًا من الله

- قال النبي صلى الله عليه وسلم: *"من همَّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة"*
  - إن ترك المعصية يجب أن يكون لله وحده؛ فإذا تركها
- المرء خوفًا من الله كتب له أجر حسنة كاملة.
  - أما المشركون في غزوة الأحزاب فقد عادوا بالذنب، لأنهم منعوا من إيذاء النبي بالإكراه وليس بالاختيار.

شمولية الحماية في الآية

- *(وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ)*
  - لم يقل "وكفى الله المؤمنين هذه الغزوة" بل قال
- "القتال"، ليشمل ذلك كل قتال بعد تلك الغزوة.
  - بالفعل، بعد غزوة الأحزاب، لم يحاول المشركون قتال النبي مرة أخرى.

اليُسر بعد العسر

- حينما تصل الأمور إلى ذروتها من العسر، يأتي اليُسر بعدها.
- يتطلب ذلك ثقة في الله، وحسن ظن به، وتوكلًا عليه.

اليُسر بعد العسر

- *(وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)*
- الله لا يُغلب، وقد أرسل جنديًا واحدًا هو "الريح" ليهزم الأحزاب.
- إذا كانت الرياح وحدها تهزم جيوشًا، فما بالنا بقوة الملائكة!

قال الله تعالى :

(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ)

قصة غزوة بني قريظة

- بعد انتهاء غزوة الأحزاب، ظن النبي صلى الله عليه وسلم أن القتال قد انتهى، فبدأ في التحضير للراحة.
- عاد النبي إلى بيته بعد المعركة وبدأ يستعد للاغتسال للصلاة.
- فجاءه جبريل عليه السلام وقت الظهر، وقال: *يا محمد، هل وضعت السلاح؟* فأجابه النبي: *نعم.*
- أخبره جبريل أن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، وأمره بجمع الصحابة للتحرك نحو بني قريظة، حيث أمره الله أن يزلزلهم.

طمأنينة الصحابة وثقتهم بنصر الله

- دعم جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بثّ الطمأنينة في قلوب الصحابة، فقد علموا أن الله معهم، وأن جبريل معهم لحمايتهم وتخويف أعدائهم.
- كانت غزوة الأحزاب قد استمرت شهرًا كاملًا من حفر الخندق والتعب والرعب والجوع والبرد، ومع ذلك استجاب الصحابة لأمر النبي بالتوجه إلى بني قريظة دون تردد.

أمر النبي بالتحرك السريع

- أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بعدم صلاة العصر إلا في بني قريظة.
- تحرك الصحابة فورًا بعد الظهر، وحاصروا بني قريظة بحلول العصر.

حصار بني قريظة ومشاوراتهم

- **مدة الحصار:**
  - استمر الحصار خمسة وعشرين يومًا بعد الشهر الذي قضوه في غزوة الأحزاب.

مشاورات بني قريظة:

قاد كعب بن أسد مشاورات بني قريظة، مقترحًا عدة خيارات لمواجهة الحصار:

- الخروج للقتال يوم السبت؛ ولكنهم رفضوا ذلك بسبب تحريم القتال في هذا اليوم.
- قتل النساء والأطفال، ثم مواجهة النبي بأسلحتهم؛ ولكنهم رفضوا هذا الخيار.
- الاعتراف بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام؛ ولكنهم رفضوا كذلك.

- **خلافهم وعدم الوفاء بالعهود:**
  - كان بنو قريظة دائمًا مختلفين فيما بينهم ولم يلتزموا بعهودهم، وظلوا في تردد حتى النهاية.

ترك القرار للنبي في النهاية

- قرروا في النهاية ترك القرار للنبي صلى الله عليه وسلم ليحدد مصيرهم.

معنى "صَيَاصِيهِمْ"

- التفسير اللغوي:
  - كلمة *(صَيَاصِيهِمْ)* تعني "حصونهم"، وتشير إلى نزولهم منها بعد حصار النبي صلى الله عليه وسلم لهم.

انتقام الله من بني قريظة وتخيير الزوجات

المحاضرة ٤

قال الله تعالى :

(وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ)

قصة بني قريظة وتسليمهم للنبي ﷺ

- الخوف والرعب:
  - ألقى الله الرعب في قلوب بني قريظة، حتى شعروا بالخوف الشديد دون أن يدركوا سببه رغم أنهم كانوا يملكون القوة والسلاح.
- استسلموا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: *احكم فينا.*
- فاقترح النبي أن يختاروا من يحكم عليهم، فاختاروا سعد بن معاذ؛ لأنه كان سيد الأوس ولديه علاقة سابقة بهم.

دعاء سعد بن معاذ واختياره للحكم

- دعاء سعد:
  - كان سعد مصابًا بسهم في غزوة الأحزاب، وقد دعا الله بأن يبقيه حيًّا حتى يرى ما سيحدث لبني قريظة.
- تعيين سعد للحكم:
  - عندما اختاره النبي صلى الله عليه وسلم للحكم، اشترط سعد أن يكون حكمه نافذًا، ووافق النبي.
  - حكم سعد بقتل الرجال، وأسر النساء والأطفال، وتقسيم أموالهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: *لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع سماوات.*

وفاة سعد بن معاذ وكرامته عند الله

- وفاة سعد:
  - بعد الحكم، عاد سعد إلى خيمته، فأنفجر جرحه وتوفي، فاهتز عرش الرحمن لوفاته، وحضرت جنازته أعداد كبيرة من الملائكة.

نتائج الحكم على بني قريظة

- تنفيذ الحكم:
  - *(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ)* وهم الرجال، *(وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)* وهم النساء والأبناء، *(وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ)* إذ أصبحت أراضيهم للمؤمنين.

تفسير *(أَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا)*

- التفسير الأول:
  - يشير إلى فتح خيبر، والتي وعد الله المؤمنين بها بعد بني قريظة.
- التفسير الثاني:
  - يشير إلى بشارة بفتح أراضٍ جديدة، مثل فارس والروم، أي أن المؤمنين سيصلون إلى أراضٍ كثيرة لم يطأوها بعد.

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا)

السبب والسياق

- بعد غزوة بني قريظة وخيبر:
  - ارتفع مستوى المعيشة بشكل ملحوظ بسبب الغنائم والثروات التي تركها اليهود، وبدأ الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم يشعرون ببعض التحسن المالي.
- - حتى عائشة رضي الله عنها، ذكرت أنهم لم يشبعوا من خبز الشعير حتى فتحوا خيبر، مما يدل على تحسن الأوضاع المعيشية تدريجيًا بعد تلك الغزوات.

الموقف مع زوجات النبي ﷺ

- توقعات الزوجات:
  - عندما تحسنت الظروف، كانت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يتوقعن منه استجابة لطلباتهن واهتمامًا أكبر بالجوانب المادية، وقد اجتمعن على ذلك مما أثقل عليه.
- سؤال: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم غنيًا؟**
  - من ناحية الدخل، كان النبي صلى الله عليه وسلم يحصل على خمس الخمس من الغنائم، وهو مقدار كبير، لكنه كان يُعيد معظم هذا المال في سبيل الله ومصلحة المسلمين، مع الحرص على الاكتفاء بأقل القليل لنفسه وأهل بيته.

وفاة سعد بن معاذ وكرامته عند الله

- إعطاء الخيار:
  - أنزل الله تعالى آية ليعطي زوجات النبي خيارًا، إما الاستمرار في حياة بسيطة مع النبي أو اختيار الدنيا والزينة مقابل الطلاق.
- السراح الجميل: ويعني الطلاق الذي يُحفظ فيه الاحترام وكرامة الطرف الآخر، دون تجريح أو إهانة، فيتم بهدوء وتقدير، وهو ما أكده الله للنبي في تعامله مع زوجاته.
- الرضا بالله ورسوله:
  - كان هذا الخيار اختبارًا لاختيار الدار الآخرة والرضا بالله ورسوله على زينة الدنيا، مع وعد من الله بأجر عظيم للمحسنات من زوجات النبي اللواتي يفضلن هذا المسار.

معنى الفاحشة

- **الفاحشة** في هذا السياق تشمل:
  ١. **الزنا**، وهو المعنى الأكثر شيوعًا للفاحشة في القرآن.
  ٢. **النشوز وسوء الخلق وعقوق الزوج**، وهي أي معصية ظاهرة تخالف السلوك المطلوب من نساء النبي ﷺ في التعامل والأدب.
- - **التحذير والشرط:**
  - قد يخاطب الله نساء النبي بوضع شروط لا يلزم منها احتمال وقوع الخطأ، بل هي لإظهار خطورتهن كنساء النبي ﷺ، مثل قوله تعالى للنبي: *(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)*، رغم أن وقوع الشرك من النبي أمر مستحيل.

المعنى والدلالة

- - **مقام نساء النبي ﷺ:**
  - بعدما اختارن الله ورسوله والدار الآخرة على زينة الدنيا، أصبح لهن مكانة خاصة عند الله تعالى. فنساء النبي لهن فضل خاص، ولذلك فإن أي خطأ منهن سيكون له أثر أعظم، وكذلك أي عمل صالح يضاعف لهن أجره.
- - **مضاعفة الأجر والعقاب:**
  - الله جعل كل عمل صالح لهن يضاعف أجره مرتين، كرامة لهن ولرفعة منزلتهن.
  - أما الخطأ أو المعصية، فيضاعف عقابها أيضًا، حتى يتناسب مع مكانتهن الخاصة ويكون تحذيرًا لهن من مغبة ارتكاب الأخطاء.

انتقام الله من بني قريظة وتخيير الزوجات

المحاضرة ٤

قال الله تعالى :

(وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا)*

التفسير:

القنوت هنا يعني المداومة والاستمرار على الطاعة والتقرب إلى الله، والالتزام بما أمر به الله ورسوله. وفي الآية وعدٌ لنساء النبي ﷺ بأن من تقنت وتعمل صالحًا، ستنال أجرًا مضاعفًا، بالإضافة إلى *رزق كريم*، الذي يشمل النعم والطمأنينة والسعادة في الدنيا، وكذلك مكانة عظيمة في الآخرة. وتفسير جميل لهذا الرزق الكريم هو أنهن سيكن مع النبي ﷺ في منزلة قريبة، كرامةً لهن، حتى وإن لم يصل عملهن وحده إلى هذا المقام، فهو تفضل من الله عليهن.

قال الله تعالى :

(إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا)

التفسير:

الله يوجه نساء النبي بأنهن إذا كنّ من أهل التقوى، فليتجنبن الخضوع بالقول، بمعنى عدم التلين أو التحبب الزائد في الكلام مع الرجال الأجانب؛ لأن ذلك قد يثير شهوة من في قلبه ضعف أو مرض، ويفتح بابًا من الطمع. وأمرهن بأن يكنّ معتدلات في حديثهن، فيقلن *قولًا معروفًا*، يخلو من التذلل المفرط، ويُظهر الاحترام والحشمة.

قال الله تعالى :

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)

التفسير:

الله سبحانه يدعو نساء النبي للاستقرار في بيوتهن وعدم الخروج إلا للضرورة، مع الحفاظ على الحشمة والستر، وينهاهن عن *التبرج*، أي التزين بطريقة لافتة غير ملائمة كما كان الحال في فترات الجاهلية، حيث كانت النساء يظهرن زينتهن في الطرقات دون حدود الاحتشام. الله يأمرهن بالوقار والحياء في سلوكهن.

قال الله تعالى :

(وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)

التفسير:

الله يختتم الآيات بأمر نساء النبي بإقامة الصلاة، وأداء الزكاة، فهما من ركائز الإسلام وواجباته، ويحث على طاعته وطاعة نبيه. فالصلاة والزكاة تعززان صلة المؤمن بالله، وتطهر النفس، مما يجعل المرأة تسير في إطار الطاعة الخالصة لله وابتغاء رضوانه، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة